

حوارات فهم الدين مع يحيى محمد : (4) نقد مشروع محمد عابد الجابري

(ضمن سلسلة حوارات الصحفي العراقي يوسف محسن)

نص الحوار

§ ان عملكم (نقد العقل العربي في الميزان) اقتصر على تناول كتابين للجابري (التكوين والبنية) دون الجزء الثالث العقل السياسي العربي والجزء الرابع العقل الأخلاقي ، ألم يكن مشروع الجابري في التكوين والبنية والعقل السياسي والعقل الأخلاقي مشروع موحد ومتماسك ؟ ما هي أسباب هذا الاختزال ؟

لا اعتقد ان مشروع الجابري باجزائه الاربعة يمثل مشروعاً موحداً، اذ نجد ان الجزئين الاولين من المشروع - اي التكوين والبنية - سائران ضمن مشروع واحد متماسك، فاحدهما يكامل الآخر من دون تباعد، وكلاهما يخضعان الى ذات البحث والادوات والصياغة المنهجية والتقسيم وحتى التفسير. وهذا ما لا نجده لدى الجزئين المتبقين. لذلك اكتفيت ببحث الاولين واضفت اليهما ابحاثاً اخرى تخضع الى ذات الطريقة ونمط التفكير من البحث ككتاب نحن والتراث.

§ كيف أقام الجابري الفصل بين نقد العقل النظري ونقد العقل العملي من العقل العربي ؟

قلنا ان طريقة البحث التي سلكها الجابري في هذا المجال هي طريقة مختلفة كلياً. فهو فيما يخص العقل النظري ركز على القواعد الفكرية والادوات المعرفية التي تتحكم في التراث، لكنه في العقل العملي كان له اهتمام اخر غير معني بالقواعد والادوات المعرفية، فهو في العقل السياسي العربي مثلاً كان يفكر في الدوافع النفسية او السياسية دون ربط بالنظريات والطروحات الفكرية. فهو لم يطرح الابعاد العملية لما يتعلق بنظم المعرفة وعلاقتها بالقضايا السياسية، فلا تجد مثلاً كلاماً عن علاقة النظام البرهاني بالسياسة، وكذا النظام العرفاني والنظام البياني . كذلك فان بحثه في الجزء الرابع حول العقل الاخلاقي العربي انما اراد ان يثبت تعددية القيم التي تم توارثها عبر التاريخ وما زال دورها حاضراً، واغلبها مستورد، ومنها الاخلاق السياسية

الوافدة من بلاد فارس. فالبحت ايضاً لا علاقة له باصل النظم المعرفية.

واعتقد ان من المفترض ان يعالج الجابري علاقة نظم التراث الثلاث بقضايا العقل العملي، فمثلاً يمكن ان نتساءل ما هي نظرة النظام البرهاني الى القيم باعتبارها تقع ضمن اعتبارات العقل العملي؟ وكذا هو الحال فيما يخص النظامين الاخرين، لكننا لم نجد بحثاً من هذا القبيل، مع انه يمكن ان يفتح هذا الباب فيكون البحث في العقل العربي بحثاً متكاملأ على الصعيدين النظري والعملي، وان بين العقلين ارتباطاً صميماً غير مقطوع، خلاف ما وجدناه لدى الجزئين الاخرين من المشروع. والا اين تأثير الصحراء ومفاهيمها على العقل السياسي والعقل الاخلاقي كما روج لها في التكوين والبنية؟ ومثل ذلك اين اثر النظامين البرهاني والعرفاني على العقل السياسي؟ كذلك اين تأثير السياسة على العقل العربي كما ابرزه في الجزء الاول (التكوين (معتبراً الثقافة عملية سياسية والافكار ردود فعل سياسية؟ ومثل ذلك يمكن ان يقال بحق العقل الاخلاقي ، رغم انه تناول علاقة الفلسفة والعرفان بالاخلاق بصورة عرضية لا تمت الى طبيعة ما عليه الحال كنظام.

§ الم يتناول الجابري في التكوين والبنية نسق العقل العربي النظري (مفاهيم ومقولات هذا العقل (إما الجانب العملي) البراكسيس (فقد تناولها في العقل السياسي والعقل الأخلاقي ؟

لم تكن مفاهيم ومقولات العقل العربي النظري التي تناولها الجابري في التكوين والبنية حاضرة في الجانب العملي من هذا العقل. فكلا الجزئين المتبقيين يعالجان كل منهما موضوعاً لا علاقة له بالآخر، كما لا علاقة له بالعقل النظري المطروح في الجزئين الاولين. فمن الصحيح ان يقال بان الجابري تناول مواضيع مختلفة يمت احدها الى ما نطلق عليه العقل العربي، وهو ما يتعلق بنمط التفكير لدى العرب كما تناوله الجزءان الاولان. اما العقل السياسي العربي فليس له علاقة بالتفكير العملي بقدر ما له علاقة بالدوافع التي تدفع هذا العقل نحو السلوك السياسي. كذلك فان العقل الاخلاقي العربي هو تركيب لقيم متنازعة وموروثة دون ان يكون لها علاقة بالتحليل النظامي كالذي طرحه في التكوين والبنية.

فكأن هناك موضوعات مشتتة وقطائع متناثرة لا يجمعها جامع الا العنوان العام المسمى بالعقل العربي. وكان يمكن ان يقال كل شيء يتعلق بالتراث بأنه يدخل ضمن هذا العقل وان لم يجمع بينها سوى التراث ذاته دون ضابط نظم معرفية محددة بأدواتها ومنهجيتها كالذي فعله في التكوين والبنية.

§ هل هناك اتساق بين البنية النظرية والبنية العملية لهذا العقل في مشروع الجابري ، إي إن الجابري من وجهة نظري لم يخرج عن فرضياته النظرية ؟

ربما يكون المشترك الوحيد الذي يجمع اجزاء نقد العقل العربي هو ان الجابري يبحث عن

الثوابت التي ظلت باقية مترسخة لدى هذا العقل دون تغيير، رغم اختلاف الموضوعات والاعتبارات، ففي التكوين والبنية نجد نظم المعرفة قديماً وحديثاً هي النظم الثلاثة (البرهان والبيان والعرفان). (وفي العقل السياسي العربي نجد ثلاثة ثوابت أخرى متعلقة بالدوافع وهي) العقيدة والغنيمة والقبيلة. (وفي العقل الاخلاقي العربي نجد عدداً من الثوابت كتلك المتعلقة بسلطة اردشير الفارسي في) طاعة السلطان من طاعة الله، والدين والملك توأمان. (فهذا ما يجمع الاجزاء الاربعة لمشروع الجابري. فالعقل العربي محكوم على المستوى النظري بنظم المعرفة الثلاثة، وعلى المستوى السياسي بالدوافع السلوكية الثلاثة الثانية، وعلى المستوى الاخلاقي بعدد من القيم التي ابرزها حاكمية اردشير والتي هي اقرب للعقل السياسي منه الى الاخلاقي.

§ تبين ان مشروع الجابري يمتاز بالطرح المنهجي لدراسة تاريخ الفكر العربي و الإسلامي ، ما هو الطرح المنهجي الجديد الذي طرحه الجابري لدراسة تاريخ الفكر العربي الإسلامي؟

معلوم ان الجابري قد ركز على ادوات الفكر دون نتاجه المفصل، وطبقاً لذلك استطاع تقسيم هذا الفكر الى نظم معرفية محددة هي البيان والبرهان والعرفان. فكل نظام مفاهيمه وادواته المنهجية وقواعده المعرفية، ومع ان الافكار تتغير وتتطور لكن هذه النظم الحاملة للافكار ظلت باقية رغم تنافسها وصراعها مع بعض بفعل النشاط السياسي.

§ تقول :إستراتيجية البحث التي اعتمدها الجابري اتصفت بأنها تترصد الفكر (كموضوع في ذاته (بغض النظر عن اعتبارات هامة تتعلق بكون هذا الفكر ليس منفصلاً عن فهم الخطاب الديني أو الشريعة ؟ في حين أرى إن الجابري في مشروعه ككل كان يطرح ارتباطات الفكر العربي مع الخطاب الديني وخطاب الواقع والتاريخ وحركته وخاصة في كتاب التكوين؟

لم يطرح الجابري شيئاً يخص فهم الخطاب الديني كالقرآن مثلاً. فكل ما كان يهيمه هو التراث المعرفي في تكوينه وبنيته بمعزل عن فهم الخطاب ذاته، بل نجد ان تأثير البيئة والسياسة حاضرة بقوة في مشروعه، وكأن الفكر يسير بطريقة محتمة وفقاً لما تحدده الجغرافيا والسياسة التي تتلاعب به دفعاً وجذباً هنا وهناك.

§ رغم منهج الجابري العقلاني ولكن ظلت تلك العقلانية متصفة بصيغة سلفية واضحة ما هو رأيكم ؟ فضلا عن ذلك في نهاية المطاف ان الترسبات الإيديولوجية للجابري تنتصر على المنهج الاستمولوجي ؟

لم تتبين العقلانية السلفية لدى الجابري الا اذا اعتبرنا ميوله الفلسفية المشائية الارسطية ما تمثل هذه السلفية. فهو يضعها في قمة اعتباراته كالتى يمثلها شارح ارسطو الفيلسوف ابن رشد. اما ترسباته الايديولوجية فمن الواضح انها فاقت منهجه الاستمولوجي. وهناك معطيات كثيرة تبين

هذا المنحى الايديولوجي.

§ منهج الجابري يقوم أساساً على كيفية تشكل العقل العربي وهو يفحص الفكر العربي بوصفه أداة للإنتاج النظري وليس بوصفه هذا الإنتاج ودمج صراعات مجال السياسة والايديولوجيا ومجال الأنظمة المعرفية للثقافة العربية ما أدى إلى إقصاء الإنتاج الصوفي أعرفاني والعقل الباطني والتركيز على عرب المغرب دون المشرق؟

هذه واحدة من النقاط الدالة على مسلكه الايديولوجي، واستخدامه المعايير المزدوجة عندما يحاكم مفكري المشرق الاسلامي بالتضعيف والتوهين، فيما يعظم من اقرانهم في المغرب رغم ان الافكار لدى فلاسفة الطرفين تتشابه وتصل الى حد التماثل والاستعانة بالفكر المشرقي ان جاز التعبير.

§ من وجهة نظري إن مشروع الجابري كان قائم على (مركزية العقل العربي (و) هاجس التصنيف وبناء الأنساق (ما هو وجهة نظركم ؟

ما فعله الجابري ضمن هذا المجال هو انه ذوّب العقل العربي ضمن عقل عالمي، فلم يعد هناك اختلاف بين العقليين. فجميع نظم التفكير العالمية هي مما يتضمنها العقل العربي ذاته. وبالتالي لا توجد خصوصية لهذا العقل تميزه عن سائر العقول. لكن ما يليق بالعقل العربي في مشروع الجابري هو العقل البياني المتأثر بالبيئة العربية الصحراوية، فهو العقل الاصيل مقارنة بالوافدين الاخرين وفقاً لهذا المشروع.

§ الم ترى معي ان تقسيم الجابري للعقل العربي عبر سلسلة الأنظمة (البيان والعرفان والبرهان (تقسيم قومي شوفيني) النظام البيان العربي ، النظام أعرفاني الهرمسي الفارسي ، النظام أبرهاني اليوناني ؟

لا اعتقد ان تقسيم الجابري تقسيم قومي شوفيني. فهو لا ينكر ان من اصول الهرمسية والعرفان ما يعود الى اليونان بعد مرحلة ارسطو. اما النظام البرهاني اليوناني فقد يجد مبرراته في طبيعة الفلسفة التي ابدعتها العقلية اليونانية، كذلك فيما يخص النظام البياني وعلاقته باللغة العربية، رغم تحفظنا من التقسيم ومن الهالة التي اضفاها الجابري على النظام الفلسفي ووصفه بالبرهاني.

§ ان المنظومة الفكرية للجابري وخاصة في كتابة التكوين والبنية تعود إلى هيغلية مستترة رغم إن الجابري يستخدم الأسئلة المادية والمفاهيمات والمقولات الحديثة ؟

لقد كان الطرابيشي يتهم الجابري بأنه قد اخذ عن هيغل - دون تصريح - تقسيمه لحضارات العالم طبقاً لمعيارية التفكير بالعقل والتفكير في العقل، وقد ناقشناه حول ذلك وانتهينا الى ان ما كتبه الجابري بهذا الخصوص يختلف كثيراً عما اراد له هيغل. كما اتهمه ايضاً بقلب اشكالية

هيجل القائلة): كل ما هو عقلي فهو واقعي، وكل ما هو واقعي فهو عقلي(، حيث أنها لدى الجابري عبارة عن): كل ما هو واقعي فهو عقلي، وكل ما هو عقلي فهو واقعي).

§ عمل الجابري يتميز بانتقائية عالية ومزاج إيديولوجي فهو لا يستنتج فرضياته من أعمال الفكر الخام وإنما يقدم فرضيات لا تمت بصلة مباشرة إلى المادة الخام التي يعمل عليها ثم يعتمد إلى انتقاء ما يلاءم تلك الفرضيات من مواد ونصوص خام ؟

بالفعل ان الجابري قد مارس الانتقائية بكثرة، كما مارس التعميم وازدواجية المعايير بكثرة ايضاً وكل ذلك لاعتبارات ايديولوجية.

§ الجابري ينطلق من إن العقل العربي له كيان ثابت معياري وأخلاقي في صميمه ونجد أن هذا الثبات في أعمال الجابري غير خاضع لمتغيرات الواقع والتاريخ ؟

لا شك ان عمل الجابري هو عمل بنيوي من حيث الصميم، فهو وان يبحث في تكون الفكر وصورته وتطوره، لكنه في النتيجة يتضمن مفاهيم وادوات ثابتة لم تتغير، وهذه هي بنيويته . فهو حتى في كتابه (تكوين العقل العربي (لا ينسى ان يؤكد على الجانب البنيوي للعقل العربي، وبذلك قد مزج بين الطرح التاريخي المعتمد على تغير الافكار وحركيتها، والطرح البنيوي المعتمد على ثبات الافكار او آلياتها ومناهجها، من دون مفارقة او تناقض خلاف ما يتصوره البعض.

§ رغم ان التراث الشيعي يشكل احد مكونات العقل العربي فإن الجابري وتحت هاجس سياسي وإيديولوجي على ما أتصور نعت هذا الفكر بالغنوصية والهرمسية والباطنية بوصفه فكر ذات أصول مشرقية اللاعقلانية ؟

هذه نقطة من نقاط تجني الجابري على التراث الشيعي حيث وصمه بالعقل المستقل واللامعقول، وانه يرفض القياس والاجتهاد والاستدلال والاجماع، وحاله في ذلك حال الباطنية الاسماعيلية .مع ان المعروف بان الشيعة اصبحت اكبر مدرسة لتخريج المجتهدين، وان من مصادرها في الاجتهاد كلاً من الاجماع والعقل .وليس هناك مدرسة من المدارس الفقهية المعروفة من تدعي وجود العقل كمصدر للاجتهاد والتشريع غير الامامية الاثني عشرية .كما ان اتجاهها العقلي في الاستدلال الكلامي معروف على شاكلة ما عليه المعتزلة .فهذا هو غالب ما يذهب اليه علماء الشيعة، وان القليل منهم ذهب الى مخالفة ما ذكرنا، وهو ما ركز عليه الجابري دون الاتجاه الغالب.

§ عد الجابري العقل ألبرهاني المغربي وبالذات المغربي الأندلسي المشروع العقلاني للنهضة الحضارية هل إن السبب يعود الى ان (المغربي الأندلسي) يقع تحت تأثير العقل ألبرهاني اليوناني؟

هذا ما زعمه الجابري وهو ان المغرب الاسلامي قد وقع تحت تأثير العقل البرهاني اليوناني بفعل سياسي، وذلك عند تولي الخلافة الاموية في الاندلس، فأخذ يخلط بين عدد من المفكرين ذوي الاتجاهات المختلفة ليضمهم في خانة النظام البرهاني الفلسفي، مع ان بعضهم ينتمي الى الاشاعرة كالأشاطبي، وبعض اخر يعول على الجمع بين الفلسفة والعرفان كابن طفيل، وثالث يعادي الفلسفة وينتصر للعرفان كابن خلدون، كما منهم من يمارس الدور البياني كابن حزم الاندلسي. اضافة الى ان منهم من ينتمي الى الاتجاه الفلسفي كابن باجة وابن رشد.

§ تحدث الجابري عن انفصال الجغرافيتين المشرقية والمغربية لتحقيق النهضة العقلانية ؟ هل ان اللحظة المشرقية عائق امام النهضة العقلانية ؟ ولماذا ؟

نعم ان الجابري رأى بان اللحظة المشرقية عائق لتحقيق النهضة، ويكفي مرور قرون طويلة دون تحقيق اي نهضة، لذلك انه عول على اللحظة المغربية التي سرعان ما انتهت، وبالذات انه عول على لحظة ابن رشد الفلسفية، وكأنه عول على ارسطو اليوناني الذي اعتبر خطه سليماً وسط الخطوط المتموجة او المنحرفة.

§ ما مدى مساهمة الإنتاج الصوفي العرفاني في تشكيل بنية العقل العربي ؟

يقع الانتاج الصوفي العرفاني ضمن النظام العرفاني، وقد اعتبره الجابري بانه قد صبغ العقل العربي بمعية البيان قروناً طويلة الى يومنا الحاضر. وكانت اعظم تجلياته المؤثرة تتمثل باتجاه الغزالي الذي اضاف عليه الشرعية الدينية في الوسط السني، مما جعله قوياً في حضوره الى هذا اليوم.

§ استخدم الجابري (القطيعة الباشلارية) (ومن خلال هذا المفهوم قسم الفكر العربي إلى لحظتين) لحظة مشرقية، لحظة مغربية (ما مدى صحة فرضية انقسام الفكر العربي إلى لحظتين احدهما عقلانية، والاخرى لا عقلانية ؟ وهل هناك قطائع وانفصالات في

تاريخية الفكر العربي أم إن هذا الفكر العربي يمثل صيرورة موحدة؟

رغم محاولة الجابري من ان يستدل على وجود مثل هذه القطيعة في تاريخ الفكر العربي وفي جغرافيته، لكن جميع المؤشرات تبدي عكس ما طمح اليه من محاولة. وقد حاول ان يستدل في هذا الصدد بعدد من الادلة التي تبين اختلاف وجهات نظر فلاسفة المغرب الاسلامي وعلى رأسهم ابن رشد عن فلاسفة ومفكري المشرق الاسلامي، لكن محاولاته لم تكن ناجحة مثلما اثبتنا ذلك بالادلة نقطة فنقطة.. وكان افصح ما تضمنته نظرية الجابري بهذا الخصوص هو اعتباره رسالة ابن طفيل جاءت لتعارض تفكير ابن سينا وغيره من فلاسفة المشرق. مع ان الرسالة من صريح المقدمة الى فحوى المضمون كلها تؤيد فلسفة ابن سينا واعتباراته، فهو يصرح في المقدمة بأنه ذاق شيئاً يسيراً بالمشاهدة العرفانية، وانه لذلك قام بث شيئاً من اسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها ابن سينا والذي وصفه بالشيخ الامام. هذا بالاضافة الى ما ارادت ان تبلغه الرسالة للقارئ من هدف يتمثل بكون الحقيقة لا تنكشف شهوداً ورؤية الا مع السلوك العرفاني، كما لا يمكن التعرف عليها عقلاً الا مع التفكير الفلسفي. فالعرفان والفلسفة متفقان في الكشف عن الحقيقة رغم اختلاف الطريقة التي يسلكانها.

§ لماذا اقترنت اللحظة المشرقية في الفكر العربي في مشروع الجابري وفي المشاريع العربية الأخرى مع ظاهرة الانحطاط الحضاري؟

في تصوري انه سواء اللحظة المشرقية ام المغربية فالامر سيان دون فارق، فكلاهما وقعا في ذات المصير من الانحطاط الحضاري والتخلف وما زلنا نجني اثار ذلك. ولهذا الانحطاط اسبابه العديدة، وقد يكون على رأسها العامل السياسي وطبيعة ما هيمن علينا من مناهج فهم قاصرة، اضافة الى عوامل اخرى متعلقة بشيوع ظاهرة التقليد وانتشارها واثار ذلك على اتكالية الفكر.

§ في تحديد هوية العقل في مشروع الجابري تم ربط العقل بالعروبة (تكوين العقل العربي) (بنية العقل العربي) (أُسأل الم يكن هذا العقل المرتبط بالانتاج والتوليد هو العقل الاسلامي وليس العقل العربي؟

ان تسمية الجابري لهذا العقل بالعربي يتناسب فعلاً مع الطرح والهدف الذي توصل اليه، وهو كون هذا العقل محكوماً بعوامل جغرافية هي البيئة الصحراوية، ومنها اللغة التي تضمّر في جوفها حقائق هذه البيئة، ومن ثم وظّف العديد من المفاهيم المشتقة منها لتحديد طبيعة العقل العربي منهجاً ورؤية؛ كمفهوم الصحراء والاعرابي والتشبيه والبلاغة وما اليها، رغم اختلافنا معه حول هذا التحليل. اما حقيقة الانتاج داخل هذا التراث الضخم فهي لا تدع امكانية اخرى غير وصفه بالاسلامي او الديني.

§ أُتسأل عن المغزى من استخدام مفهوم (العقل العربي) (في التكوين والبنية؟ المغزى السياسي والإيديولوجي والابستمولوجي؟

المغزى الابستمولوجي واضح من تحليل الجابري لبنية هذا العقل وتشكلاته عبر اثر الصحراء والبداءة في تحديد اداته البانية وما يتصف به من مفاهيم مميزة تتحدد بثلاثة مبادئ هي : الانفصال والتجوز والمقاربة . اما المغزى الايديولوجي فقد يتعلق بما اضاف اليه الجابري من عقول اخرى غير هذا العقل الضعيف المتهاوي، لا سيما العقل البرهاني الذي يؤيده، فقد اضفى عليه نوعاً من العروبة ليطالب باستعادته من جديد، ولو باسترداده من الغرب ضمن مقولة) : هذه بضاعتنا ردت الينا.

§ في تحليلات الجابري يرى ان العقل العربي انتاج للصانع الصحراوي وبنية هذا العقل حاضرة في الشعر وعلوم عرب الجاهلية وهذا يتناقض مع سيرة تكوين العقل الذي هو انتاج الحواضر المدنية في التاريخ ؟

ان ما اراده الجابري من ذلك هو ان يبين بان الاصل في هذا العقل هو ما يعود الى تأثير بيئة الصحراء الحاسمة على العقل، وان بدا في صيرورته وتطوراته نتاج الحواضر المدنية . بمعنى ان البنية الصحراوية تظل حاضرة في صميم هذا العقل رغم تنقلاته في الحواضر المدنية.

§ لماذا العودة المستديمة في مشروع الجابري الى سلطة الإعرابي الما قبل - إسلامي هل هنا يكمن المغزى في ركود وثبات العقل العربي الصحراوي ؟

كل ذلك يعود الى تحليل الجابري للعقل وفق الجغرافيا، فالبيئة العربية صحراوية، وهي تختلف عن بيئة اليونان مثلاً، وهذا الاختلاف البيئي هو سبب الاختلاف الظاهر في عقل كل منهما . ففي الصحراء نجد الرمال والحصى منفصلة، والنباتات والحيوانات متفرقة، وقطرات المطر متقطعة، والنجوم متناثرة، والخيم متباعدة ... الخ . وهي مظاهر لها دلالة على الانفصال، وكان الجابري يهدف من ذكرها قصد الايضاح والايحاء . لكن هذه الخصائص في النتيجة انعكست على طبيعة العقل فجعلته عقلاً يقوم على الفصل والتجوز والتشبيه، رغم سذاجة التحليل وعدم منطقيته . لكن بغض النظر عن تهافت مثل هذا الكلام نقول انه من الناحية المبدئية ان الجابري قد جعل من هذا الحال ما يمثل قدرنا ان صح التعبير، وان كان لا يذهب الى الاتجاه الحتمي، لكن مآل الحال يقارب الحتمية، لذلك انه خفف من هذا الغلواء الصحراوي فأضاف عقليين وافدين اخرين، وان عقد المسألة بافناء العقل العربي وجعله عقلاً عالمياً كما اشرنا الى ذلك من قبل.

§ ان الانظمة المعرفية التي ابتكرها الجابري (النظام البياني والنظام العرفاني والنظام البرهاني) انها انعطافة في تصنيف انساق الثقافة العربية ولكن فرضية الفصل والقطائع بين تلك الانظمة أوقعه في فخ إيديولوجي ؟ الم تكن تلك الأنظمة المعرفية تعمل على استثمار النص واكتشاف مكوناته ؟

لا شك ان هذه النظم المعرفية كانت تتغذى على النص الديني وتسقط اعتباراتها الخاصة عليه

ايضاً. فمع ان النظامين العرفاني والبرهاني سابقان على النص، لكن ما ان دخلا ضمن الحضارة الاسلامية حتى بدت علامات تفاعلها مع هذا النص. الامر الذي اوليناه اهمية خاصة في مشروعنا الموسوم (المنهج في فهم الاسلام).

§ ما مدى مساهمة الأمامية الاثني عشرية او الشيعة على العموم في تأسيس العقل العربي ؟

تمتلك الامامية الاثني عشرية جميع نظم التراث المعرفي. وهي لا تختلف في ذلك عما لدى السنة. فاذا اخذنا بالتقسيم الثلاثي للجابري فان لدى الامامية النظام البرهاني والعرفاني والبياني، مثلما ان لدى السنة هذه النظم الثلاثة من دون فرق. ولو قلنا بان نظم التراث اثنان لا ثلاثة هما النظامان الوجودي والمعياري، كما نعتقد بذلك، فان الحال هو هو لا فرق بين الامامية والسنة، اذ كل منهما يحمل هذين النظامين بمناهجهما الاربعة.

(§ الجابري يجرد الامامية الاثني عشرية من صفاتها المعيارية او البيانية ليضعها في دائرة العرفان والباطنية المحض وشبها بالاسماعيلية ، ذلك انه ميز بين الشيعة والسنة تميزاً جذرياً قائماً على اختلاف النظام المعرفي فهو يرى وجود عقليين، باعتبار ان الامر لا يتعلق بعقيدتين بل بنظامين معرفيين مختلفين يقرءان نفس العقيدة (ما هي مأخذكم على تلك الفرضية الجابرية ؟

يبدو لي ان الخطأ واضح تماماً، فالنظام المعياري لدى الامامية نظام عريق، سواء في هيئته البيانية او العقلية الكلامية. فمثلاً ان المنظرين للطريقة العقلية لدى الامامية من امثال المفيد والشريف المرتضى والطوسي لا علاقة لهم بالنظام الوجودي او العرفاني، فدراساتهم وبحوثهم كلها تصب في المنحى المعياري، وحالهم في ذلك لا يختلف عن حال اهل السنة، حتى ان البعض منهم يكفر الفلاسفة والعرفاء. وبالتالي كيف يمكن تعميم النظام العرفاني على هذا المذهب وفيه الكثير ممن لا يعترف بهذا النظام او يستنكر مضامينه ويكفر رجالاته؟!

§ هل هذا معناه ان الجابري يضع الامامية الاثني عشرية داخل النظام الوجودي؟

يضع الجابري الامامية في خانة النظام العرفاني لا مطلق النظام الوجودي، بمعنى انه يجردها من التوأم الاخر المتمثل بالنظام البرهاني او الفلسفي الصرف. فالخطأ هنا مضاعف، وهو خطأ الفصل التام بين الفلسفة والعرفان، كذلك خطأ وضع الامامية الاثني عشرية بجميع اتجاهاتها وتوجهاتها ضمن النظام العرفاني الباطني.

§ الم ترى معي ان الامامية الاثني عشرية تحتوى في بنيتها الذهنية على نزعة باطنية عالية ؟

لا شك في ذلك، فبالفعل ان الامامية الاثني عشرية تحتوي على نزعة باطنية عالية، لكن هذه الباطنية ليست بالضرورة نابعة من اعتقادات ومنهج النظام العرفاني، بل في الغالب انها نتاج كثرة الروايات التي تفيد هذا المعنى بمعزل عن اعتقادات النظام العرفاني ذاته، وان كان لهذا النظام ان يوظف مثل هذه الروايات لصالحه بشكل او باخر.

§ الم يمتلك (الشيعية والسنة) (كل منهما نظام معرفي كامل في الفقه واللاهوت والتفسير والشخصيات الملهمه للدين وهذا يدل على قراءتين مختلفتين تمام للدين ؟

لا اعتقد ذلك، بل ارى ان تشابهاً كبيراً بينهما. فكل منهما يحمل ذات النظم المعرفية ومناهج الفهم، كما كل منهما يحمل ذات العلوم، وانهما يتداخلان في مختلف المفاهيم والاعتقادات. وانا اعتقد بقاعدة ما موجود هنا موجود هناك، فاذا ما كان الشيء حسناً هنا، فهو حسن هناك، واذا ما كان سيئاً هنا فهو سيئ هناك ايضاً من دون فرق، رغم انه قد تتفاوت النسب في حضور الشيء لدى الطرفين.

§ انا اتفق إلى حد ما مع الاطروحة التي تقوم على ان الشيعية والسنة هما دينين متكاملين (الدين الشيعي والدين السني) (؟ وهناك قطائع بين تلك المجموعتين) (لاهوتيا وسياسيا وفقها وايديولوجيا) ؟

اذا كان الشيعية والسنة دينين، فماذا نقول عن الاسلام الذي يقرءانه، هل هو دين متعال؟

نعم هما مذهبان بشريان يقرءان ديناً خالصاً هو الاسلام، وبالتالي كانت نظرتهم مختلفة ازاء ما يقرءان، وهو امر طبيعي لولا تحول هاتين القرائتين الى نوع من القدسية قد تفوق قدسية ما يقرءان. وعلى الرغم من انهما يختلفان في القراءة نجد ان لكل منهما اتجاهات مختلفة في القراءة ايضاً، وقد تتفق بعض اتجاهات احدهما مع ما لدى الاخر. فهما من هذه الناحية متعادلان في الفهم.